تكملة باب الدعاء إلى شهادة أن لا اله إلا الله

المتن:

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم[٣].

الشرح:

نعم، المشروع للمسلم دعوة وعملا أن يبدأ بالأهمّ فالمهمّ، أن يبدأ بالأهمّ فالمهمّ، يعني الذي دونه في الأهميّة وذلك عند التعارض، وذلك عند التعارض، وهذه قاعدة عن أهل العلم يا إخوة " إذا تعارضت المصالح قُدِّم أعلاها "، فلو تعارض عندك أداء الفرض مع أداء النافلة، جئت إلى صلاة الفجر إلى المسجد فأقيمت الصلاة، تعارض عنك هنا أن تُصلي السنة الراتبة و أن تُصلي الفرض، فهنا يجب أن تُقدّم الفرض و تُصلي الفرض ولا يجوز أن اشتغل بالنفل وقد أقيمت الصلاة، إذا تعارض عندك طاعة والدك مع نافلة، فإنّك تُقدّم طاعة والدك لأنّ طاعة والدك هي الأهمّ وهي المصلحة العليا، إذًا من القواعد الشرعية الشريفة أنّ المسلم في عمله يبدأ بالأهمّ فالمهمّ عند التعارض وفي دعوته يبدأ بالأهمّ فالمهمّ ولا يعكس، لذلك يبدأ بالتوحيد قبل أن يدعوا إلى الصلاة، ويدعوا الى الصلاة قبل أن يدعوا الى الزكاة وهكذا، نعم.

المتن:

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الشرح:

آه، ليس المقصود هنا مصرف الزكاة يا اخوة أنّ مصرف الزكاة هو الفقراء فقط، ولكنّ مقصود الشيخ مسألة من مسائل مصارف الزكاة وهي أنّه يجوز صرف الزكاة الى مصرف واحد من مصارف الزكاة، لو عندك زكاة يجوز أن تجعلها مثلا في فقير، أو في الفقراء فقط دون المُؤلّفة قلوبهم مثلا، فلأنّ النبي ﷺ قال: ﴿ تُؤخذُ من أغنيائهم وتُردُّ على فقرائهم ﴾ ، فدلّ ذلك على أنّ الفقراء من مصارف الزكاة، وعلى أنّه يجوز أن تُعطى الزكاة لمصرف واحد أو تُخرج الزكاة في مصرف واحد من مصارف الزكاة الثمانية، نعم.

المتن:

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الشرح:

نعم، من أدب العالم يا اخوة أن يرحم المُتعلّمين، من أدب العالم يا اخوة أن يرحم المُتعلّمين، فمن أعظم الآداب وأحسن الأخلاق للعالم المُعلّم للناس أن يكون رحيمًا بهم، ومن رحمة العالم بمن يُعلّمهم أن يكشف عنهم الشُبهة، ويدلّهم على أحسن السُبُل، من أي جاء هذا، أو هذه الفائدة، من النصوص المُتقدّمة، يقول النبي ﷺ لمُعاذ رضي الله عنه: ﴿ إنّك تأتي قومًا من أهل

الكتاب ﴿، فبيّن له الحال ليستعدّ ويُعاملهم بما ينفع ان شاء الله، فالنبي ﷺ بيّن له الحال، فالعلم ينبغي أن يكشف الشُبهة لمن يُعلّمُهُ وأن يُبيّن له الحال وأن يُفصّل له ان كان الأمر يحتاج الى تفصيل، وأن يدُلّه على أحسن السُبُل التي يراها و يعلمها أنّها تُوصله الى جنّة الخلد، تُوصله الى جنّة ربّ العالمين،

والله يا اخوة لا ينصح العالم الناس الاّ اذا كان يدُلُّهم على طريق الجنّة، على طريق محمد ﷺ، و الاّ كان غاشًّا لهم، نعم.

المتن:

الخامسة عشرة: النَّهيُ عن كرائم الأموال.

الشرح:

نعم، في أخذ الزكاة يُؤخَذُ الوسط، فلا تُؤخذُ الرديئة ولا تُؤخذُ الكريمة، وكذلك في الإنفاق يُنفِق الانسان الوسط فما فوق، يعني الصدقة تُريد أن تتصدّق تصدّق بالوسط فما فوق، بعض الناس اذا أراد أن يتصدّق يبحث عن الشيء الذي لا يحتاجه، مثلا الأرز الذي لا يُؤكل يتصدّق به، نعم صدقة لكن ليست من خير الصدقات، خيرا لصدقات أنّ الانسان يتصدقّ من الوسط فما فوق، ويكمُل اذا كان يُنفق ممّا يُحب، وتكمُل الصدقة اذا كان الانسان يُنفِق ممّا يُحب، نعم.

المتن:

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

الشرح:

وقد تكلّمنا عن هذا بما فيه الكفاية.

المتن:

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الشرح:

نعم، بأنّها تُسمع، تُرفع وتُسمع وقد تكلّمنا عن هذا.

المتن:

الثامنة عشرة: ما جرى[٤] على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

الشرح:

الله أكبر، من أدلّة التوحيد يا اخوة ما جرى على النبي ﷺ من المشاق و التعب، فكان النبي ﷺ يُسافر للغزو و يُسافر معه أصحابه، منهم من يمشي وعلي رضي الله عنه أصابه امرض أصابه الرمد وذهب وهو لا يكاد يرى أو لا يرى من شدّة الرمد، طيّب طيف يدلُّ هذا على التوحيد ؟

هذا يا اخوة يدلُّ على أنّهم فُقراء الى الله، فقراء الى الله، لا يملكون لأنفسهم نفعًا و لا ضرًّا، فإذا كان هؤلاء السادة هؤلاء الأولياء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا فمن باب أولى مَنْ دونهم، فلا يستحقّون أن يُعبدوا ولا أن يُدعَوْ، الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه كيف يدفع عن غيره، فلا يُدعَوْنَ من دون الله، وقد تقدّم معنا يا اخوة أنّ النبي ﷺ ماتت بناتُه ومات ابنه ابراهيم بين يديه وهو يُقعقِع ما استطاع أن يرُدّ الموت عنه، فالنبي ﷺ هو سيّد ولد آدم أجمعين، بل أفضل الخلق ﷺ، فقير الى الله والله هو الغني بذاته، ولا شكّ أنّ هذا يدلّ على التوحيد، فالله عز وجل هو المُستحِقُّ للعبادة على الاطلاق، نعم.

المتن:

التاسة عشرة: قوله: {لَأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ..إلى آخره} عَلَمٌ مِن أَعلاَمِ النُّبُوَّةِ.

الشرح:

نعم، نعم كما تقدّم معنا، فالنبي ﷺ قال: ﴿لأُعطِيَنَّ الرَّاية غدا رجلا يُحبُّ الله ورسوله ويُحبُّه الله ورسوله يفتح الله على يديه ﴾، فأخبر أنّه في الغد ستُفتح الحصون، وقد وقع كما قال ﷺ وهذا لا يكون الاّ من وحي، لا يكون الاّ من وحي، لأنّ النبي ﷺ لا يعلم الغيب الاّ اذا أوحى الله اليه، نعم.

المتن:

العشرون: تَفلُهُ فى عَينَيهِ عَلَمٌ مِن أَعلاَمِهَا أَيضًا.

الشرح:

نعم، كون النبي ﷺ تَفَلَ في عيني علي رضي الله عنه فبرِأتا فورا، و لم يشتكي منهما الى ان مات فهذا عَلَم من أعلام نُبوّة النبي ﷺ فانّه لا يقع الاّ من النبي ﷺ، نعم.

المتن:

الحادية والعشرون: فضيلة عَلِيٍّ[٥].

الشرح:

نعم، بشهادة رسول الله ﷺ أنّه يُحبُّ الله ورسوله ويُحبُّه الله ورسوله، والمؤمنون يُحبُّون عليّاً رضي الله عنه، ويُحبُّون من يُحبُّه علي رضي الله عنه، ويُحبُّون من يُحبّ علي رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه يُحبُّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويُحبُّ عمر رضي الله عنه، فالمؤمنون يُحبُّون صحابة رسول الله ﷺ ، أمّا المنافقون المُتستِّرون فانّهم يغلون في علي رضي الله عنه ويُكفّرون صحابة رسول الله ﷺ، نعم.

المتن:

الثانية والعشرون: فضل الصحابة فى دَوكِهِم تلك الليلة، وشغلهم عن بِشَارَةِ الفتح.

الشرح:

نعم، كما قلنا يا اخوة من فضائل الصحابة انّهم اشتغلوا عن البِشارة بالفتح وما يقع في الدنيا بأمر أعظم وهو ما يتعلّق بخبر النبي ﷺ أنّ الرجل الذي سيأخُذ الراية يُحب الله ورسوله ويُحبُّه الله ورسوله ﷺ، نعم.

المتن:

الثالثه والعشرون: الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يَسعَ لها، ومنعها عَمَّن سَعَى.

الشرح:

نعم، الايمان بالقدر وانّ ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ولو اجتمع الخلق أجمعون على ان يمنعوه، وانّ ما لم يشأ لم يكن ولو اجتمع الخلق أجمعون ليُوقعوه، فهنا علي رضي الله عنه كما قدّمت لكم يا اخوة تخلّف في المدينة من أجل الرمد ثم ساقه الله وقال أنا أتخلّف عن رسول الله ﷺ ؟ فذهب، وكان أرمد ما يرى فجلس في خيمته، فدعاه النبي ﷺ فحصلت لعلي رضي الله عنه مع أنّه لم يسعى و لم تقع للصحابة الذين كانوا يتطاولون للرسول ﷺ ، وهذا يا اخوة يقطع الحسد من أصله، لأنّك تعلم و تُوقن أنّ الذي وصل لأخيك ليس لك أبدًا، والله ما كان لك

ولن يكون، هو لأخيك فكيف تحسدُهُ، وأبخل البُخلاء الذي يبخل بما لا يُؤخَذُ منه وما ليس له، هذا أبخل البخلاء يبخل بما لا يُؤخذُ منه، ليس هو الذي يُعطيه وما ليس له أصلا ليس له فيبخل به على اخوانه ويحسد اخوانه،

النعمة من الله، هذا المال الذي أخذهُ أخي هذا من الله لست أنا الذي أعطيتُ ولا أُخِذَ منّي، والذي وصل الى اخي ليس لي يقينًا، فكيف أبخل به على اخب وأحسدهُ، فالايمان بالقدر يا اخوة علامة السعادة، والله يا اخوة لو آمن الناس بالقدر حقّ الايمان كما جاء بالكتاب و السنة ما شَقِيَ أحد، لأنّ الانسان اذا آمن بالقدر يفعل السبب ولا يُعلّقُ قلبه بالسبب، ولا يحزن على ما فاته لأنّه يعلم أنّه لن يُصيبه، ولا يحزن حُزنًا يُقعِدُهُ (الحزن الطَبَعِي هذا شيء آخر) اذا أصابته مُصيبة لأنّه يعلم لا يُمكن أن يَنجُوَ منها اذا وقعت لا بُدّ من وقوع القدر، وعلامة ان يقع، نعم.

المتن:

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: {عَلَى رِسلِكَ}.

الشرح:

نعم، والمسلم دائما يتأدّب وقد ذكرت لكم يا اخوة هذه الفائدة فيما يتعلّق بالحج وأنّ نكون في حجّ على أدب و أناه وسكينة وقار وأن لا يقتل بعضنا بعضًا، بعض الحجاج هداني الله وايّاهم يفهمون من قول النبي ﷺ: ﴿ **الحج جهاد كل ضعيف** ﴾، أنّ الانسان يأتي بالحج بقوة، وتجد في الطواف يدفع الناس وترى أنانيّة في بعض الحجاج في الطواف يحجز مكانا

واسعا لزوجته و أخواته والناس يتضايقون، ليس لك الاّ ما تمشي فيه اذا زدت فهذا غصب لحقّ المسلمين، وبعض الناس يتدافعون عند رمي الجِمَارِ كأنّهم يدعون الى قتال، والنبي ﷺ لّما رأى ازدحام الناس على الرمي قال: ﴿ لا يقتل بعضكم بعضًا ﴾ ، يعني اهدؤوا، اهدؤوا فهذا أدب للمسلم في جميع أحيانه، نعم.

المتن:

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

الشرح:

نعم، وهذا واجب اذا كان المُقاتَلون لم يُدْعَوْ قبل ذلك، يُدعَوْ قبل الاسلام، فان أجابوا لم يجُز قتالهم، نعم.

المتن:

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعُوا قبل ذلك وَقُوتِلُوا.

الشرح:

أنّه مشروع وليس واجب، يعني مُستحب اذا أردنا ان نقاتل قوما قد دُعُوا من قبل الى الاسلام فأَبَوْ أن نَدعُوَهُم مرّة أخرى لعلّ الله ان يفتح قلوبهم و نُكْفَ شرّ القتال، لكن هذا مستحب وليس واجبا، والدليل على ذلك انّ اليهود قد دُعُوا الى الاسلام في المدينة قبل اجلائهم الى خيبر ولذلك أمر النبي ﷺ علي رضي الله عنه ان يَدعُوَهم الى الاسلام، نعم.

المتن:

السابعة والعشرون: الدعوة إلى الله بالحكمة لقوله: {أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه}.

الشرح:

نعم ، الدعوة بالحكمة هذا أصل من أصول الدعوة وأنّ الانسان يدعوا الناس بحكمة و من ذلك أن يُخبر الناس خبرًا بما يجب عليهم، وهذا من الحكمة لأنّ التَرفُّع على الناس أثناء الدعوة يُنفِّرُهم من قبول الحق، أمّا ان كان على هيئة المُخبر لهم فانّ هذا يُقرِّبُ قلوبهم الى الداعي، نعم.

المتن:

الثامنة والعشرون: معرفة حَقِّ الله [1] في الإسلام.

الشرح:

نعم، وأنّ لله حقًّا في الاسلام، فمن وحّد الله لا يعتمدُ على مُجرّد توحيده بل يجتهد في طاعة الله عزّ وجل فيفعل الواجبات ويترك المحرمات ويُكثر المستحبات ويترك المكروهات، نعم.

المتن:

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الشرح:

نعم، وقد قلنا انّ هداية رجل واحد الى الاسلام خيرٌ للمسلم من كنوز الارض، نعم.

المتن:

الثلاثون: الحَلِفُ عَلَى الفُتيَا.

الشرح:

وقلنا يا اخوة انّ الحَلِف على الامور المهمّة من السنة من أجل توكيده للناس، والنبي ﷺ كان يحلف على الامور ذات الشأن كما في الدرس، نعم.

(٦) باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللّه

نعم أيّها الفضلاء لّما فرغ المصنّف رحمه الله من الابواب التي تتعلّق بكليّات التوحيد وفيها بيان ما ينبغي على المؤمن تُجاه التوحيد وهو أن يُحبه ويحب أهله و ان يتعلّمه وان يعمل به وان يسلم ممّا ينقُضُه أو يُنقصُه وان يبرأ ممّا يُعبد من دون الله من المشركين و يعني لشركهم و ان يدعُوَ اليه وان يصبر عليه وان يُعلّق قلبه لله عزّ وجل وان يخاف من الشرك بأنواعه،

شرع هنا في بيان التوحيد وبيان ما يُضّادُهُ على سبيل الاستكمال و التفصيل، ففي هذا الباب الذي معنا بيّن معنى التوحيد اجمالا ثم في الابواب التالية الى آخر الكتاب يُبيّن التوحيد تفصيلا، ببيان التوحيد وبيان ما يُضّادُهُ،

نعم يا اخوة معنى التوحيد تقدّم معنا بيّناه أثناء الكلام لكنّه هناك مرّ تبعًا، ولم يمُر مقصودا في الابواب السابقة أمّا هنا فهو مقصود، ولذلك يا اخوة ليس صحيحا انّ هذا الباب مُكرّر، بل هذا الباب باب تأسيس لأنّ فيه بيان معنى التوحيد قصدًا، أمّا الذي مرّ فهو تَبَعْ للأبواب التي مرّت معنا.

قال باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله:

التفسير: يا اخوة من الفَسْرِ، والفَسْرُ هو الكشف أي باب الكشف و البيان عن معنى التوحيد،

-طيّب- قال باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله:

فالتوحيد هو شهادة أن لا إله إلاّ الله، ولذلك يقول العلماء هذا من باب عَطْفِ المُتَرادِفات، فمعنى الباب: باب كشف وبيان معنى التوحيد وأنّ التوحيد هو معنى شهادة أن لا إله إلاّ الله،

وبعض أهل العلم قال:

هذا من باب عَطْفِ المُفسرِ عن المُفَسَّر به، فيقولون شهادة أن لا إله إلاّ الله مُفسَّرَةٌ بالتوحيد، مُفسَّرَةٌ بالتوحيد، فهذا من باب عَطْفِ المُفسَّرِ الذي هو شهادة أن لا إله إلاّ الله على المُفَسَّرِ به وهو التوحيد، نعم.

المتن:

۞ وَقَولِ الله تَعَالَى: ﴿قُلِ ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم مِن دُونِهِ فَلا يَملِكُونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحوِيلاً ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجُونَ رَحمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحذُورًا۞﴾[٢].

الشرح:

نعم، الله عزّ وجل قال: **﴿ قل (للمشركين) ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضُرِّ عنكم ولا تحويلا (56) أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيُّهُم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾**.

هذه الآية يا اخوة أصلٌ يقوم عليه التوحيد، وهو أنّ الله غنيٌّ بذاته وأنّ ما سواه فقيرٌ بذاته، الله سبحانه غنيٌّ بذاته وما سواه فقيرٌ بذاته و الفقير محتاج الى الغنيّ، فمستحقُّ العبادة هو الله الغني سبحانه وتعالى ومن دونه لا يستحقُّون ان يُعبدوا أبدا،

هذه الآية:

- يرى بعض السلف أنّها في الذين كانوا يعبدون الملائكة،
- ويرى بعض السلف أنّها في الذين كانوا يعبدون عيسى عليه السلام،
- ورأى بعض السلف أنّها في الذين كانوا يعبدون عُزَيرًا عليه السلام،
- ورأى بعض السلف أنّها في قوم كانوا يعبدون جنًّا قد أسلموا، يعبدون جنًّا قد أسلموا، وقد ذكر ابن مسعود ﷺ أنّ هذا هو سبب نزول هذه الآية، فقد روى الشيخان البخاري وسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنّه قال في هذه الآية: ﴿ **كَانَ نَاسٌ مِنَ الإِنْسِ يَعْبُدُونَ نَاسًا مِنَ الجِنِّ، فَأَسْلَمَ الجِنُّ وَتَمَسَّكَ هَؤُلاَءِ بِدِينِهِمْ** ﴾، فنزلت هذه الآية .

فمعنى الآية يا اخوة، يقول ربُّنا سبحانه وتعالى لنبيِّنا ﷺ:

قل للمشركين الذين يعبدون الملائكة أو يعبدون عيسى أو يعبدون عُزَيرًا أو يعبدون الجنّ المسلمين أُدعوا الذين زعمتم أنّهم آلهة من دون الله عزّ وجل،

من دون الله تعني معنيين:

✓ تعني يُعبدون دون الله، يُعبدون هم فقط.

✓ وتعني يُعبدون مع الله، وكلاهما مقصود سواء عُبِدت الملائكة فقط أو عُبِدت الملائكة مع الله، أو عُبِد عيسى عليه السلام فقط أو عُبِد عيسى عليه السلام مع الله، قل للمشركين الذين يعبدون الملائكة أو عيسى عليه السلام أو عُزَيرًا عليه السلام أو الجنّ الذين أسلموا أُدعوا الذين زعمتم أنّهم آلهة من دون الله عزّ وجل أن يكشفوا الضُرَّ عنكم، ألا يُصيبُكم الضُرّ، بلى يُصيبُكم الجوع، يُصيبُكم العطش، يُصيبُكم المرض، أُدعوا هؤلاء الآلهة الذين تزعُمون أنّهم آلهة والزّعم مَطِيَّة الكذب، أُدعوهم أن يكشفوا الضُرَّ عنكم أو أن يُحوِّلوه عنكم الى غيركم أو عن مكانكم الى مكان آخر، فانّ الله قادرٌ على هذا، الذي يُعبَد قادرٌ على هذا، فلو كانوا آلهة لكانوا قادرين،

النبي ﷺ لّما قدم المدينة وجد فيها حُمّى شديدةٌ، فدعا أن ينقُلها الله الى الجُحْفَةُ فنقلها الله الى الجُحْفَةُ،

-طيّب- ، أُدعوا هؤلاء أن يكشفوا الضُرَّ عنكم أو يُحوِّلوه عنكم فانّهم لن يستطيعوا، وهذا يُدركُه المشركون في ذلك الزمان، ولذلك المشركون في ذلك الزمان يا اخوة اذا ركبوا الفلك وخافوا الضُرّ دَعوا الله مخلصين له الدين، و اذا رجعوا الى البرّ وسلموا أشركوا بالله، فالله عزّ وجل يُقيم عليهم الحجّة، أُدعوا هؤلاء الذين زعمتم أنّهم آلهة من دون الله عزّ وجل أن يكشفوا الضُرَّ عنكم أو يُحوِّلوه عنكم فانّهم لن يستطيعوا وهذا يدُلُّهم عن عجزهم عن نفع غيرهم، هذا يدُلُّهم عن عجزهم عن نفع غيرهم،

ثم قال الله ﴿أولئك الذين يدعون﴾، ويزعمون أنّهم آلهة يبتغون الى ربِّهم الوسيلة، يعني يبتغون الى ربِّهم القُربة بطاعته سبحانه وتعالى، ورأس الطاعة التوحيد، و يتسابقون من القُرب الى الله، ويرجون جنّة الله، ويخافون عذاب الله، فهم فُقراء الى الله، هم لم يملكون ان

ينفعوا غيرهم، ولا يملكون ان ينفعوا انفسهم من دون الله ولذلك يتقرّبون الى الله يرجون رحمته يخافون عذابه فهم فُقراء في ذاتهم لا يستطعون نفع أنفسهم و اذا كانوا لا يملكون نفع غيرهم ولا يملكون نفع أنفسهم فانّهم لا يستحقُّون ان يُعبدوا من دون الله عزّ وجل و انّما يُعبد الله عزّ وجل،

وهذا يُفيد السامع ثلاث فوائد كلُّها تُحقِّق مقصود الباب فانتبهوا لها يا اخوة:

الفائدة الأولى:

- أنّ الله هو الغني بذاته سبحانه و أنّ جميع المخلوقين فُقراءُ اليه بذاتهم، وهذا يُوجب شرعًا وعقلاً أن يُوَحّد الله سبحانه وتعالى، وأن يُعلَّق القلب بالغنيّ سبحانه وتعالى وان تكون الرغبة اليه والرهبة منه،

الفائدة الثانية:

- أنّك انت ايُّها المُخاطب الآن الذي تسمع الآية أنّك فقيرٌ الى الله كألئك، كالملائكة وعيسى عليه السلام وعُزيْر عليه السلام و الجنّ الذين آمنوا في زمن النبي ﷺ، أنت فقير الى الله مثلهم، فكم مثلهم مُوحِّدًا لله طائعًا لله مُعلِّقًا قلبك بالله راجيًا جنّة الله خائفًا من عذاب الله رغبتُك الى الله ورهبتُك من الله، لأنّك فقيرٌ مثلهم بل أنت أشدّ فقرًا، أنت أشدّ فقرًا،

قال الله عزّ وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ فخاطبكم ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، ما هي الوسيلة؟

- الوسيلة أن يُعبَد غير الله ؟ لا و الله .

- الوسيلة أن تُوحِّد الله و أن تُطيع الله سبحانه و تعالى ،

- **قال مُقاتل ابن سليمان** : و ابتغوا إليه الوسيلة يعني في طاعته بالعمل الصالح ،

- **وقال قَتادة** : تَقرَّبُوا إليه بطاعته و العمل بما يُرضِيه ،

أي ابتغوا إلى الله الوسيلة بما يُقرِّبكم إليه و يُكسبُكم رِضَاه وهو ما بيّنه لكم في القرآن و في سنة النبي ﷺ ، و أما إتِّخاذُ أُناس يُدْعَوْن من دون الله بحُجّة أنّهم الوسيلة ، و يقولون هؤلاء سادتنا وسيلتُنا إلى ربّنا هؤلاء وسائط يُقَرِّبوننا إلى الله عزّ وجل فهذا مُنافي للتوحيد الذي أُمِرنا به و من الشّرك بالله عزّ وجل الذي عَابَهُ على المُشرِكين ، ﴿ألا لله الدين الخالِصُ﴾،

الله لا يقبل من الدين إلاّ ما كان له خالصًا لا يُشرك معه أحد، ﴿ألا لله الدين الخالِصُ﴾ و ﴿الذينَ إتّخَذوا منْ دونِهِ أولياء ما نعبُدُهم الاّ ليُقَرِّبُونا إلى الله إلا زلفى﴾ ، يعني هؤلاء الذين أشركوا يقولون ما نعبُدُهم إلاّ أنّهم وسلية إلاّ أنّهم وسائط ،و في إتّخاذ وسائل من الرجال يُدْعَوْن من دون الله كما قُلنا إساءة ظنّ بالله و تشبيهٌ لله بخلقه الذين يحتاجون من يرفَعُ حاجات الناس إليهم و الله عزّ وجل قطع كل هذا ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

فهذا الذي يذهب إلى القبور يسأل أصحاب القبور، يسأل من يُسمّيهم بالأولياء من دون الله، نقول له ألست مُصدِّقا قولَ الله ، الله عزّ وجل يقول ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، أليس بعيدًا تحتاج

معهم إلى غيره، ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾، فهو جوادٌ كريم سبحانه يُجيب دعوة الداعي، فلا يحتاج إلى وُسَطاء، فآمن بقول الله و إتبِّع قول الله تُوّحِد و تَسلم،

و في هذه الآية وجه ثالث كما قلنا ثلاث أوجه ،

الفائدة الثالثة:

- أن توحيد الله إنّما يكون بعبادة الله و ترك عبادة ما سِواه، فهذا تفسير للتوحيد ، لأنّ الله في أول الآية بيَّن لهم أن عبادة ما سواه باطلة فيجِب تركها، و بيّن لهم أن الملائكة و الأنبياء تَعبُد الله ، فالتوحيد هو عبادة الله و ترك عبادة ما سواه، نعم.

المتن :

وقوله [تعالى][1]: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

الشرح:

نعم ، هذه الآية يا اخوة فيها تفسير لا إله إلاّ الله وهي تفسيرٌ عمليٌ لقول الله عزّ وجل:

﴿فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد إستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾،

يعني إستمسك بلا إله إلاّ الله ، لأنّ إبراهيم عليه السلام هنا كما قال الله تعالى : ﴿و إذ قال إبراهيم لأبيه و قومه ﴾ الذين يعبدون الأصنام،

﴿إنَّني براءٌ﴾ و أصل البراءة التخلّي، و المقصود بها هنا الكُفر ،

﴿إنَّني براءٌ مِّما تعبدون﴾ من كلّ من تعبدونه أو ماتعبدونه،

﴿إلاَّ الذي فطرني﴾ فاستثنى المعبود الحقّ الله سبحانه و تعالى، و بيّن هو المستحّق للعبادة لأنه قال ﴿إلاَّ الذي فطرني﴾ أي خلقني و أوجدني من غير مثال سابق و لن يستطيع أحد أن يفعل هذا، فهو المُستحِقّ للعبادة سبحانه و تعالى، و لابُّد في التوحيد أيضا من البراءة من المشركين، يعني عبادة الله و ترك الشِّرك و البراءة من المشركين كما قال الله عزّ وجل : ﴿قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم و الذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا بُرَآءُ منكم و مما تعبدون من دون الله ﴾، و المقصود بالبراءة من المشركين -يا إخوة- بُغضهم لشركهم،

إذاً حتى تكون مُوحِّدا:

- لابُد أن تعبد الله وحده،
- و لابُد أن تَسْلَم من الشّرك بالله،
- ولابُد أن تَكفُر بما يُعبد من دون الله ،

لو أنّ إنساناً عَبَدَ الله وما أشرك ولكن لم يَكفُر بالطواغيت لم يكفُر بما عُبِد بغير الله، قال لا أنا ما أكفُر بهذه الآلهة لكن أنا ما أُشرك هذا ما وحَّد و ما دخَل الإسلام ، الذي يقول الناس أحرار كلّ واحد يَعبُد الإله الذي يُحِبّ، نعم أنا أعبُد الله و لا أشرك بالله لكن لا أعيب على أحد أنّه يَعبُد عيسى عليه السلام، يعبُد عُزير، أو أنّه يجوز لكل واحّد أن يَعبُد الله كما شاء هذا ما وحّد، لابُد من الكُفر بجميع المعبودات من دون الله و أنّ يعتقِد المسلم أنه لا يجوز لأحد أن يَعبُدَ غير الله، و أن يكفُر بالمعبودات من دون الله، و أن يُّبغِض المشركين

لشركهم، الّذي يُحِب المشركين لشِركهم لدينهم لانحرافهم هذا ما وحّد، و ما أسْلَم أما محبَّة المشركين لغير دينهم فهذه مسألة أُخرى الإسلام ،

انتبه يا إخوة عندما نقول البراءة من المشركين تعني بُغضَهُم لشركهم، عدم محبتهم لشركِهم،أمّا محبتهم من أجل الدنيا محبتهم الطبيعية هذي بيّناه سابقاً ، لكنّها لا تنقُض الإسلام و الذي يُهِمُّني هنا المحبّة التي تنقُض الإسلام ،

ما معنى البراءة من المشركين الذي هو من معنى التوحيد ؟

أن تُبغِّض الْمُشرك لشركه، فتُبغض المشرك لأنه مُشرِك ،

إذاَ ما معنى التوحيد ؟

أن تَعبُد الله وحدَه، و أن تَسلَم من الشِّرك، و أن تَكفُر بكلّ ما عُبد من دون الله من جهة كونِه معبوداً، من جهة كونِه معبوداً من دون الله و أن تبرأ من المشركين، بمعنى أنْ تُبغِضهم لشركهم و ظُلمهم العظيم، نعم.

المتن :

وقوله [تعالى][٢]: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

الشرح:

نعم ، الله عزّ وجل قال : ﴿ **اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيحَ ابن مريم ... عمّا يُشركون**﴾ ، أهل الكتاب من اليهود و النصارى، و المقصود هنا أصالَة النصارى :

اتخذوا أَحْبَارَهُم : و الأَحْبار جمع حَبْر أو حِبْر و هو العَالِم عند اليهود و النصارى.

و **رُهْبانَهُم** : أي عُبّادَهُم إلهاً واحِداً.

أرْباباً مِن دُونِ اللهِ و المَسيح ابن مرْيَم : أي اتخذوا المسيح ابن مريم رباً من دون الله.

و ما أُمِروُا إلاَّ ليَعْبُدوا إلهاً واحِداً : إذاً فِعلُهم هذا يُنافي التوحيد،

كيف اتخذوهم أرباباً ؟

جعلوا لهم تحليل ما حرّم الله و تحريم ما أحل الله و أطاعوهم في ذلك، مع عِلْمِهم بأنَّه يُضاد حكم الله،

يعني -يا إخوة- هذه الآية سيأتي تفسيرها في باب مستقل ونُفصِّل، ولكن انتبهوا حتى لا يقَع الخلْط ،

- الذي يأتي لعالِم من العلماء و يَعتقِد أنّ له أن يُحّل ما حرّم الله أو يُحرِّم ما أحّل الله فإذا قال له هذا العالِم الذي قد يُسمِّيه بالولّي، إذا قال له الرّبا حلال و هو يعلم أن الله حرّمه أعتقد أنّه حلال، لأنّ هذا الشيخ قد أحلّه، أو قال له هذا الشيخ إنّ أكل اللحم حرام مع عِلمِه بأنّ الله أحلّه، فاعتقد أنّه حرام، هذا قد اتخذه رباًّ، لأنّ الحُكم لله ،و يَكفُر بهذا و لا يكون موحّداً و يكون مُشركًا شِرك الطاعة الذي يُخرِجُه من الملّة ،
- أمّا إذا أطاع العالِم في التحليل و التحريم، مُعتقد أنّ هذا هو الدِّين و لم يعلم خلاف ذلك، فهذا مشروع ،
- و إذا أطاع العالِم في التحليل و التحريم مع عِلمِه أنّ الله أحلّ ذاك الذي حرّمه العالم أو حرّم الذي أباحه العالم شهوةً لا اعتقادًا، يعني هو في نفسه يعتقد أنه حرام لكن من أجل شهوة الدنيا قال أنا أتبّع هذا العالِم ، يتعامل مع الرّبا و يعتقد في قلبه أنّ الربا، حرام لكن الشيخ الفلاني قال هذه الصُوَرْ حلال من الربا، فهو يتعامل للشهوة، أما الذي في قلبه فهو ما في الشرع من حُرمة أو حِلّ، **فهذا عاصي و ليس كافراً** ،

إذاً متى يكون شرك الطاعة ؟

إذا علِم أنّ حُكم العالِم خلاف حُكم الله و اعتقد ما قاله العالِم و ترك ما قاله الله، هذا قد يكون قد أشرك شرك الطاعة و ليس مُوحّداً، نعم.

المتن :

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [الآية][٣] [البقرة: ١٦٥].

الشرح:

بالنسبة للآية السابقة سيأتي تفصيلها في باب مستقل،

هنا قال الله عزّ جل :

﴿و من الناسِ من يَتَّخِذُ من دون الله أندَاداً يُحبُّونهم كحُبّ الله ﴾، لماذا قال الله إنهم اتخذوا أنداداً من دونه ؟

لأنّهم يُحبونهم كحُبّ الله و هذا ما يُسمى شرك المحبّة،

في التوحيد لابُّد فيه من أن تُحبّ الله حُبّاً يغلِب على كُلّ شيء، حتى على حُبِّك لمحمدﷺ،

ومراتب الناس في المحبّة درجات:

- **المرتبة الأولى** : ألاّ يُحبّ الله أصلاً ، ألاّ يُحبّ الله أصلاً، يُحبّ شهواته و نَزَواتِه، ولا يُحبّ الله و هؤلاء شَواذُّ الخَلق كالملاحدة، و هم أضلُّ من الأنعام، أضلُّ من الحيوانات.
- **المرتبة الثانية** : من يُحّب الله لكن يُحب أحدًا من خلق الله أكثر من حُبِّه لله ، يُحب الله و يُحب الوليّ حُبّاً أكثر من حُبِّه لله، و لذلك يترُك ما يُريده الله لما يُريدُه الوِلّي بزعمِه و هذا **مُشرِّك**،

- **المرتبة الثالثة** : أن يُحبّ الله و يُحبّ أحداً من خلق الله كحُبِّ الله، يُسَوّي بين الله و المخلوق في المحبّة و هذا **مُشرك** ،
- **المرتبة الرابعة** : أن يُحبّ الله فوق محبّة جميع المخلوقين، فهذا موّحدٌ أو مُسلمٌ، ثمّ يتفاوت المسلمون في المحبّة ، يعني حصل عنده المحبّة التي هي شرط في الإسلام، أما محبّة القُرب هذه يتفاوت فيها الناس، فقد يكون الإنسان مسلماً و يكون مُقتصراً على المحبّة اللاّزمة لتحقيق الإسلام وقد يزيد و قد يزيد قد يزيد،

الناس مراتب ولذلك يقول العلماء :

علامة محبّة المُسلم لله أن يُحسِن الإتباع رسول الله ﷺ، و أن يجتهد في التَقُرب إلى الله و كُلما كان أحسن إتباعاً و أكثر اجتهادا كان أعظم محبّة لله ،

لاحظوا -يا إخوة- علامة محبة المسلم، وهو الذي أحَبَ الله فوق المخلوقين، علامة محبّتِه الزائدة عن قدر أنه أصبح بها مُسلِماً حسن الإتباع لرسول اللهﷺ و الاجتهاد في الطاعة، و لذلك يقول العلماء ثَمَرَة المحبة محبة المسلم التقَّرب إلى الله سبحانه و تعالى و ترك معاصيه، -طيّب- و لذلك لو جاءنا مُسلم يُكثِر من المعاصي و تَقِل عبادته لله عزّ وجل و قال أنا قلبي مليء بحُبِّ الله و حبّ رسول الله ﷺ أو أنا أُحب الله وأُحب رسوله، قلنا له هذه دعوى أعمالُك تكذّبك و نقصد بهذا محَبّة المسلم لا المحبة التي يُصبح فيها مسلماً، و إنّما المحبَة التي تكون في القلب المسلم زائدة عن المحبّة التي يُصبح بها مسلماً، وهذه -يا إخوة- مثل قول النبي ﷺ :﴿ **كل أمّتي يدخلون الجنة الاّ من أبى، قالوا ومن يأبى يا رسول الله، قال: من**

أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ﷺ، مع أنّه يعصي في معصية و يدخل الجنة وهذه مثل النصوص الوعيد،

يقول العلماء نصوص الوعيد تُمَرُّ و لا تُأَوَّل لأنّ المقصود منها الزَجر فلو قُيِّدت و أُوِّلَت لذهب المقصود منها، و سيأتي إن شاء الله في أحاديث الشفاعة أُصول نافعة لأهل السنة و الجماعة في تقيد النصوص ،

بهذا نأتي إلى أمر مهم جداً لابد أن نتطرَّق إليه و إن كان الشرح مختصرًا و هي مسألة البيتين المشهورين على ألسنة الناس و الوُّعاظ و الدعاة وهي التي يقال فيها:

تَعْصي الإلهَ و أنت تَزْعُمُ حُبّهُ هذا لعَمْرُك في القياس شنيعُ

لو كان حُبّك صادِقاً لأطَعْتهُ إنّ المُحبّ لمن يُحِبّ مُطيعُ

و يُروى البيت الأول على وجه آخر

تَعْصي الإلهَ و أنت تُظهرُ حُبّهُ هذا لَعَمْرِي في القياس بديعُ

لو كان حُبّك صادِقاً لأطَعْتهُ إنّ المُحبّ لمن يُحبُّ مُطيعُ

هذين البيتان يُنسبان للإمام الشافعي في كتب الأدب، و يُنسبان لأبي العتاهية الشاعر الزاهد المعروف كما في شعب الإيمان للبيهقي، و يُنسب لمحمد بن الحسن ابن الحنفية أنّه كان يتمثل بهما، محمد ابن الحسن ابن الحنفية أنّه كان يتمثل بهما كما في شعب الإيمان عند البيهقي ، و تُنسبان لمحمود الورّاق، و يَستَشهِد بهما بعض أهل العلم كالشيخ ابن العثيمين رحمه الله كان يَستَشهِدُ بهما، والشيخ الألباني رحمه الله كان يَستَشهِدُ بهما، وكذا بعض شُرّاح الحديث ،

فما الموقف من هذين البيتين ؟

نقول يا -إخوة -إن كان المقصود بالمعصية هنا، كُلّ المعاصي بما فيها الشّرك بالله بحيث لا يَعبُد الله إلاّ قليلا، كالمنافقين الذين يُشركون بالله و يفعلون المعاصي و لا يَذكرون الله إلاّ قليلا، وعُبّاد عيسى عليه السلام و عُبّاد العُزَيْر عليه السلام، و عُبّاد الملائكة فالبيتين صحيحين على ظاهرهما،

تَعْصي الإلهَ و أنت تَزْعُمُ حُبّهُ ، وأنت تُظهر حُبَهُ

هذا لَعُمرُك في القياس شنيع أو بديعُ،

أو بديع يعني : مُخترع لا يجري على سنن القياس،

لو كان حُبّك صادقا لأطعته انّ المُحِبّ لمن يُحِبُّ مُطيعُ

و على هذا المعنى يكون البيتين مأخوذين من قول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، هذا الوجه واضح.

الوجه الثاني :

إذا كان المُراد بالمعصية، المعاصي التي تقع من المسلمين وكان المُرادُ بالمحبّة محبّةَ المسلمين التي تقتضي القُّربة من الله فالبيتان صحيحان ،

تَعْصي الإلهَ أيها المسلم **و أنت تُظهر حبُّهُ** تزعم أنّ قلبك مليء بالحب لله **هذا لعمرُك في القياس شنيع .... لو كان حُبُّك صادِقاً لأطَعْتهُ** لأنّ هذا هو مُقتضى المحبّة و لا يعني أنّ المحبة تُنْفَى عن العاصي لكن المقصود هنا أنّ محبّة المسلم لله التي تقتضي البُعد عن المعاصي و

القُربة من الله هذه ليست موجودة أو ضعيفة، فالمعنى صحيح و على هذا نقول إنّ العلماء الذين يَسْتَشْهِدون بهذين البيتين من علماء أهل السنة يُريدون هذا،

الوجه الثالث :

و انتبهوا له أنّ يُراد أنّ العاصي لا يُحِب الله أصلاً و هذا لا يقوله أهل السنة و الجماعة، لأنّ أهل السنة و الجماعة إنّ العاصي المسلم و إن ارتكب الكبيرة لا يَخرُج من الإسلام، فَعِندَهُ محبّة لله أصبح بها مُسلِماً ، و إنّما يقول هذا أعني أنّه لا يُحب الله أصلاً الخوارِج الذين يَرَوْن أنَّ مُرتكِب الكبيرة بارتكابه الكبيرة يَخرُج من الإسلام فهو لا يُحب الله أصلاً، و أهل السُنة يَأبوْن هذا ، و يقولون إنَّ مرتكب الكبيرة و إن كان على خَطَر و إن كان على ذنب عظيم و إن كان مُعرَّضاً للعُقوبة، إلاّ أنّه مُسلم فهذا يدُلُّ على ضعف المحبّة محبةِ المسلمين أو عَدَمِها ، لا عدم محبّة المحبّةُ التي يُصبِح بها مُسلِماً ، و على هذا قال بعض المشايخ من المعاصرين من أهل العلم الفُضَلاء الذين نَعْرِفُهُم بالعلم إنّ هذين البيتين فيهما نفَسٌ خارجي على هذا المعنى الأخير، و إذا عرَفنا التفصيل عَظُمَ عندنا التحصِيل و عرفنا ضبط المسألة عندنا أهل العِلم ، فعندما تأتي إلى سلسلة الأحاديث الصحيحة و تَجِدَ أنَّ الشيخ الألباني رحمه الله استشهد بهذين البيتين فاعلم أنّه يُريد وجه الأول و الثاني ليس الثالث، كذلك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لمّا ذكر هذين البيتين مُسْتَشهِداً بهما إنّما يعني الوجه الأول و الثاني، أما الوجه الثالث فلا يريدُه أحدٌ من أهل السنة و الجماعة ، و هذه فائدة عَضُّوا عليها بالنواجذ، و لعلّنا نقِف هنا و نكمل هذا الباب غدا إن شاء الله عزّ وجل .